في مفهوم الشركة الكنسية

(٧)

الكنيسة كجسد المسيح المرئي

الأب أنتوني م. كونيارس

تشدِّد الكنيسة الأرثوذكسيَّة على أهميَّة العضويَّة في مجتمع مسيحي مرئي خاص، هو جسد المسيح. كثير مِن الذين لم يقتربوا أبدًا مِن عتبة الكنيسة يسمُّون أنفسهم مسيحيِّين، ويدَّعون انتماءَهم إلى كنيسة "غَيْر مرئيَّة". المسيحيَّة الأرثوذكسيَّة تؤمن، ليس في كنيسة غير مرئيَّة، لكن في كنيسة مرئيَّة تمامًا، التي هي جسد المسيح في العالَم اليوم. بعد أنْ طُعِّمنا في هذا الجسد بالمعموديَّة، فنحن نتغذَّى باستمرار بالمسيح مِن خلال حبل الإفخارستيا السُّرِّي. هذا بالإضافة إلى أن المسيح قال: «إِنْ لَمْ تَأْكُلُوا جَسَدَ ابْنِ الإِنْسَانِ وَتَشْرَبُوا دَمَهُ، فَلَيْسَ لَكُمْ حَيَاةٌ فِيكُمْ» (يو ٦: ٥٣). لا يستطيع أحد أنْ يأخذ سرَّ الإفخارستيا لو كان بعيدًا عن الكنيسة. لا يستطيع أحد أنْ يكون مسيحيًّا بمفرده، فهذا ما يقصده التَّعبير: "لا خلاص خارج الكني". أسَّس الله الكنيسة، جسده، واختار أنْ يبقى في الكنيسة ويعمل خلال الكنيسة لينجز عمله في العالَم اليوم.

الإجابة على السُّؤال: "هل خلصت؟" يكون: "نعم ،أنا مِن بين النَّاس الذين يخلِّصهم الله". الكنيسة هي حلبة المصارعة التي "يعمل فيها الله خلاصنا" (انظر في٢ :١٢- ١٣). أنْ تعتبر نفسك مسيحيًّا لمجرَّد علاقة شخصيَّة مع يسوع، وأنَّك لست بحاجة إلى الكنيسة، معناه أنَّك تقدِّم فرديَّة خطيرة في الكنيسة. المسيحيَّة ليست عزفًا منْفردًا ولكن سيمفونيَّة. العلاقة الشخصيَّة مع يسوع لا تنمو على الأشجار، إنَّها علاقة تنمو وتنتعش طالما نبقى متَّصلين بالمسيح كأعضاء حيَّة في جسده، الكنيسة.

بالنِّسْبة للأب جورج فلوروفسكى Georges Florovsky، لم تكن الكنيسة أبدًا ببساطة مجتمعًا لأفراد متميِّزين في الفكر مُنْعزلين، ولكن شركة، كائن حي مِن الحُب والحقِّ، مؤسَّسًا إلهيًّا.

"كانت المسيحية موجودة منذ البداية كواقع مؤسَّسي،كمجتمع، أنْ تكون مسيحيًّا

يعني فقط أنْ تنتمي إلى الجماعة. لا يمكن لأيِّ شخص أنْ يكون مسيحيًّا بمفرده، كفرد منعزل، ولكن فقط مع الإخوة، في "تعاون" معهم؛ المسيحية تعني"حياة مشتركة"، "حياة أفراد معًا""[1].

الفرديَّة المتطرِّفة ظاهرة أمريكيَّة، هي الفرديَّة التي تقول: "لا أحتاج الكنيسة، إنَّه فقط يسوع وأنا، وأنا أحكم على ما يعلِّمه الإنجيل، ... إلخ." هذا ليس ما يعلِّمه يسوع ولا ما كانت تؤمن به الكنيسة الأولى، هذا النَّوع مِن الفرديَّة (يسوع وأنا) عكْس الشَّركة koinonia. قال المسيحيُّون الأوائل: «لأنَّه قد رأى الرُّوح القُدُس ونحن... » (أع١٥: ٢٨)، ولم يقولوا: "قد رأى الروح القدس وأنا... ".

نحن تعمَّدنا داخل الجسد، عندما ظهر الرُّوح القُدُس يوم الخمسين، لم يحل فقط على رسول واحد بل على الرُّسُل جميعهم كجسد. في جسد المسيح لدينا فرصة لننمِّي العلاقة الشخصيَّة الدَّائمة مع المسيح. إننا في الجسد ننمو إلى ملء السيِّد المسيح وكماله.

جسد المسيح مسكن الرُّوح القُدُس

مِن المهم أنْ نتذكَّر أنَّ المسيح بدأ خدمته العامَّة مباشرة بعد معموديَّته في نهر الأردن بعدما تمَّ مسحه بالرُّوح القُدُس. وكما أنَّ الرُّوح القُدُس قوَّى ونشَّط خدمة يسوع، هكذا نفس الرُّوح القُدُس أتى يوم الخمْسين ليسكن في جسد المسيح السرِّي ويقوِّيه، الذي هو الكنيسة.

يشرح الدكتور بيتر بوتنيف Peter Bouteneff ذلك فيقول:

"... الكنيسة هي الجسد الذي يسكن فيه الرُّوح القُدُس، في كلِّ ملئه. نفس الرُّوح الذي مسح المسيح، والذي يملأه، والذي مِن خلاله نعرف أنَّ يسوع هو المسيح، هو الرُّوح الذي يملأ ويمسح جسد المسيح، الكنيسة. علاوة على ذلك، فنحن ننظر إلى حلول الرُّوح القُدُس في يوم الخمْسين باعتباره تدشينًا خاصًا لهذا المسكن الذي للرُّوح القُدُس في الكنيسة، سكن الرُّوح في أقصى ملئه.

ما المقصود بهذا "الملء"؟ يبدو مِن غَير المعقول أنْ نُحدَّ الرُّوح القُدُس ونشاطه لنقول إنَّ الرُّوح "هنا أكثر مِن هناك". وبعد، بينما نحْن نعرف أنَّ

(1) Georges Florovsky, *Bible, Church, Tradition: An Easter, Orthodox View*. Nordland Publ. Co Belmont, M A, 1972.

الرُّوح القُدُس: «يهبُّ حيث يشاء» (يو ٣: ٨)، فقد حلَّ أيضًا بطريقة محدَّدة وملموسة على الرُّسل يوم الخمسين. الكنيسة هي الاستمراريَّة لتلك الجماعة التي قبلت الرُّوح القُدُس بهذه الطَّريقة الخاصَّة والمباشرة، وتستمر لتكون مسكنًا للرُّوح في ملئه. الكنيسة: «التي هي جسده (المسيح)، ملء الذي يملأ الكل في الكل» (أف ١ :٢٣)، والتي يسكنها الرُّوح القُدُس، تشارك بشكل تام في الكمال، والوحدة، والورع والقداسة، والملء التام والشموليَّة، والطَّابع التَّبشيري للمسيح والرُّوح القُدُس"(٢).

عندما سُئل كريستوفر هول Christopher Hall: "لماذا يجب على المسيحيِّين اليوم الاهتمام بما كان يقوله آباء الكنيسة؟" أجاب: "الرُّوح القُدُس له تاريخ، فالكنيسة لم تزدهر في القرن الأوَّل، ثمَّ فشلت في الثَّاني، وبعد ذلك انتعشت في السَّادس عشر. الرُّوح لم يهجر الكنيسة أبدًا". نفس الرُّوح القُدُس الذي له تاريخ، له أيضًا جسدٌ الكنيسة، حيث: "لا يزال الرُّوح يحلُّ فيها بملئه"(٣).

الكنيسة جسد المسيح البشري الإلهي
كما استُعلِن في والدة الإله (Theotokos)

أطْلَقَ بعض اللاهوتيِّين الأرثوذكس على الكنيسة تعبير: "جسد المسيح البشري الإلهي"، فكمثل جسد المسيح الشخصي، هكذا الكنيسة أيضًا بشريَّة وإلهيَّة. إنَّها تمثِّل طبيعتنا البشريَّة التي يُقيم فيها الرَّب يسوع، إنَّها تمثِّل الطبيعة البشريَّة التي جُدِّدَت وتجلَّت بسُكنى الثَّالوث. هذا يعبَّر عنه في أيقونات كثيرة للثيئوتوكوس (والدة الإله) حيث تُصوَّر وهي تحتضن يسوع الطِّفل، خصوصًا أيقونة العذراء الرَّحيمة (الإلِوُوسا Eleousa) وأيْقونة القُبْلة الحنونة (Glycofilousa). تُمثِّل الثيئوتوكوس في هذه الأيْقونات بشريَّتنا، طبيعتنا البشريَّة، فهي واحدة منَّا، إنَّها الجانب البَشَري للكنيسة؛ ومع ذلك يُرَى مُتوَّجًا في حضنها يسوع، ابن الله، الذي يسكن في بشريَّتها مع الآب والرُّوح القُدُس، مثلما يسكن فينا؛ ومِن ثمَّ تكون الثيئوتوكوس أوَّل

(2)*Beyond the East/West Divide*. Anna Marie Aagard and Peter Bouteneff. WCC Publications. Geneva,Switzerland. 2001.

(3) *The Habits of Highly Effective Bible Readers: A Conversation With Christopher A. Hall.* Christian History, No. 80 (2003).

عُضو لجسد المسيح، الكنيسة. ابن الله، والرُّوح القُدُس نزلا إليها عند البشارة وبقيا معها، ولهذا السَّبب فهي غالبًا ما تصوَّر مع المسيح الطِّفل Platytera على الحائط الأمامي في كثير مِن الكنائس الأرثوذكسيَّة البيزنطيَّة. هي الشَّخْص المسيحي الأوَّل، أوَّل عضو لجسد المسيح، الكنيسة. إنَّها تقودنا في صلواتنا إلى ابنها المصوَّر في قبَّة الكنيسة أنَّه ضابط الكل Pantocrator. الثيئوتوكوس بينما تحمل الرَّب يسوع على يدها اليُسرى، فهي تُشير إليه بأصابعها الطَّويلة في اليد اليُمنى، وهي تدعونا لأنْ نَقبَله على أنَّه: «الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ» (يو ١٤: ٦)؛ وبالتَّالي، فالرَّب يسوع بدوره يُعبِّر عن محبَّته لأمِّه، التي تمثِّلنا بطريقة رائعة.

وحْدة الجسد

يكتب القدِّيس بولس ويقول: «فَإِنَّنَا نَحْنُ الْكَثِيرِينَ خُبْزٌ وَاحِدٌ، جَسَدٌ وَاحِدٌ» (١كو ١٠: ١٧)، ومع أنَّنا منفصلون عن الله وعن بعضنا البعض بسبب الخطيَّة، فإنَّنا نصير واحدًا، جسدًا واحدًا، بواسطة المسيح نفسه الذي جاء ليسكن في كلِّ واحدٍ منَّا. يقول بولس الرَّسول: «خُبْزة واحدة»، وهنا يتساءل القدِّيس ذهبي الفم St. John Chrysostom: [ما هذا الخُبز؟]، ويجيب:

> [إنَّه جسد المسيح؛ وماذا يصير هؤلاء الذين يتناولون هذا الخبز؟ إنَّما يصيرون جسد المسيح، لا أجساد مُتعدِّدة، ولكن جسدًا واحدًا. وكما أنَّ الخبز الذي يتكوَّن مِن حبَّات كثيرة مِن القمح يصبح رغيفًا واحدًا، هكذا عندما نتَّحد بالمسيح نصير جسدًا واحدًا، خبزة واحدة. أنتَ لا تغتذي مِن خُبزة وأنا مِن خُبزة أُخرى، فنحن جميعًا ننال نفس الخُبزة لنصير جسد المسيح الواحد][٤].

الكاهن الخديم يصلِّي في كلِّ قدَّاس دُعَاءين invocation عند استدعاء الرُّوح القُدُس epiclesis، فيقول: "أرسل روحك القدوس علينا وعلى هذه القرابين الموضوعة"، بيْنما الشَّعْب يقف أمام المائدة المقدَّسة والقرابين موضوعة عليها تتقدَّس، ليكون كلُّ واحد جسد المسيح. عن طريق الإفخارستيَّا يأتي المسيح والرُّوح القُدُس ليسكنا فينا ويجعلانا جسدًا واحدًا، جسد المسيح، الكنيسة.

وهكذا، فالإفخارستيا تَجعلنا بالفعل في شركة واحدة one koinonia، جسدًا واحدًا، جماعة شعب الله.

---

(4) Homily 24 on I Corinthians 10:17.

هذا يظهر بوضوح في كلمات صلاة الاستدعاء في قدَّاس القدِّيس باسيليوس St. Basil عندما يُسْتدْعى الرُّوح القُدُس لا لتقديس القرابين فقط، ولكن أيضًا مِن أجل اتِّحاد الجماعة: [لكي نتَّحد كلُّنا بعضنا ببعض، لأنَّنا الكثيرين نشترك في خُبْزة واحدة وكأس واحد، الواحد مع الآخَر، في شركة الرُّوح القُدُس الواحد]، وهكذا، فإنَّ الرُّوح القُدُس يُشكِّل جسد المسيح مِن خلال سرِّ الإفخارستيا.

يتساءل القدِّيس ذهبي الفم:

[بينما المسيح يريد بشدَّة أنْ يجعلنا نتَّحد به وببعضنا البعض، لماذا نستمر أنْ نظلَّ منفصلين عن بعض مِن خلال الكراهية وقلَّة الغُفران؟]

نحتاج إلى بعضنا البعض

التفرُّعات العملية المتعددة في الكنيسة كجسد المسيح يُعبَّر عنها في الأسطورة التي تُسمَّى: "المِعدة والأعضاء".

قصَّة

وتقول الأسطورة إنَّه كان هناك لقاء بين أعضاء الجسد يومًا ما، وقرَّروا أن يقوموا بإضراب لأنَّ المعدة تحصل على كلِّ كميَّة الطَّعام بينما تقوم باقي الأعضاء بالعمل.

ولمدَّة يوم أو يومين تكاسلت اليدين عن أنْ تقوما بأيِّ عمل، وبالتَّالي لم يتلقَّ الفم أيَّ طعام، ولم يعد هناك عمل للأسنان. وبعد عدَّة أيَّام بعد ذلك، لاحظت اليد أنَّها تتحرَّك بصعوبة، والفم ملفوحٌ وجافٌّ، والقدمان لم تعودا تقدران على أنْ تدعما باقي الجسد.

وتُختم القصَّة بالاستنتاج التَّالي: "وإنْ كانت المعدة شرهة وبليدة، فهي تقوم بعمل يفيد الجسم كلَّه، ويجب على جميع الأعضاء أنْ تعمل معًا، وإلاَّ تمزَّق الجسد إلى قطع".

ونحن كأعضاء لنفس الجسد، فنحن نحتاج إلى بعضنا البعض. الله خلق الجسد دون أنْ يوجِد بين أعضائه تنافرًا، ولكن أنْ تهتم الأعضاء بعضها ببعض؛ وكما أنَّ اليد لا تقدر أنْ تقول للعين: "لا حاجة لي إليكِ"، هكذا بالمثل لا يمكن لأحدنا أنْ يقول للآخَر: "يمكنني المُضي بدونك". يقول القدِّيس بولس: **«احملوا بعضكم أثقال بعض، وهكذا تمِّموا ناموس المسيح»** (غل ٦: ٢). (يُتبع)